مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد13- العدد2/ 2022، ص ص350- 363

الإصلاح الاجتماعي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

Social Reform at the Association of Algerian Muslim Scholars

ط.د أيوب شرقي[1,*]، أ.د الصادق دهاش.[2]

[1] جامعة البليدة 2 علي لونيسي (الجزائر)، ea.chergui@univ-blida2.dz.

[2] جامعة البليدة 2 علي لونيسي (الجزائر)، dahaches@gmail.com

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

تاريخ الاستلام : 2021/09/24 ؛ تاريخ القبول : 2022/04/30 ؛ تاريخ النشر : 2022/06/12

الملخص

كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا فعالا في الإصلاح الاجتماعي لدى المجتمعات خاصة المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي الذي أدى إلى الانحطاط الاجتماعي، لذا ساهمت الجمعية في تطور المرأة وتعليمها، وكذا تنشئة الشباب وإرشادهم إلى الطريق الحق والاستعمار من خلال إنشاء المدارس والنوادي الثقافية، كما أن الجمعية لم تقتصر على الاهتمام بالمرأة والشباب فقط، بل تعدت اهتماماتها بالأطفال الصغار وإعطائهم حقوقهم من التعليم وحمايتهم من الآفات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية : جمعية العلماء المسلمين، الإصلاح الاجتماعي، المرأة، الشباب، الأطفال الصغار.

abstract

The Association of Algerian Muslim Scholars had an active role in social reform in societies, especially Algerian society, in light of French colonialism, which led to social degeneration. Therefore, the association contributed to the development and education of women, as well as educating young people and guiding them to the right path and colonialism through the establishment of schools and cultural clubs. The association was not limited to caring for women and young people only, but rather its concerns went beyond young children, giving them their rights to education and protecting them from social evils.

Keywords:Muslimscholars association, social reform, women, young childen.

*المؤلف المراسل.

مقدمة :

تعتبر جمعية العلماء المسلمين التي تأسست سنة 1931م، في ظروف صعبة كممثل رسمي منظم للحركة الاصلاحية في الجزائر، لهذا كان للجمعية دورا بارزا في إصلاح المجتمع الجزائري في شتى المجالات، منها الأخلاقي والديني والاجتماعي وهذا الأخير اهتمت به اهتماما كبيرا لما له من أهمية عظمى في تغيير مسار أمة كاملة وتحسين مستواها، وعليه ومن خلال هذا المقال سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية :

ما هو دور جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح الاجتماعي؟

الأسئلة الفرعية:

-ماهي الجهود الاصلاحية التي قامت بها من أجل تطور المرأة؟

-وفيما تمثلت جهودها لتنشئة الشباب ؟

-كيف تعاملت مع الاطفال لإصلاحهم اجتماعيا؟

أهداف الدراسة:

-إبراز الجهود التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجال الاجتماعي.

-الاطلاع على تجارب الماضي في العمل الإصلاحي الاجتماعي لفهم أهمية المرأة والشباب ووظيفتهم في المجتمع الجزائري.

المنهج المتبع :

تطلبت منا دراسة هذا الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف حقل الموضوع وتحليل عناصره بشكل منهجي فالمنهج الوصفي التحليلي يقوم بدراسة وتحليل وتفسير ظاهرة الإصلاح الاجتماعي في المجتمع الجزائري.

I. الإصلاح الاجتماعي من منظور جمعية العلماء المسلمين

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أكثر الحركات المنخرطة في الحياة الاجتماعية، والمتأثرة بالمحيط الذي حولها، وهذا راجع إلى طبيعة عملها الذي لا يبتعد عن الميدان الاجتماعي كثيرا، ومن ثم فقد كانت على علم ودراية بكل القضايا الاجتماعية (زوليخة بوقرة، 2009، ص18)، محاولة بذلك إصلاحها وفق منظورها، ونجد أن ابن باديس في موضوع الإصلاح هذا لا يفرق بين الرجل والمرأة بل إعتبرهما لبنة واحدة لبناء المجتمع المسلم الصالح، فعناية ابن باديس بإصلاح الفرد معناه الرجل والمرأة، على حد سواء

لذلك يقول :"على المربيين لأبنائنا وبناتنا أن يعلموهم ويعلموهن هذه الحقائق الشرعية ليتزودوا بها بما يطبعهم ويطبعوهن عليه من التربية الإسلامية"(عمار بن مزوز،د س ن، ص 124).

أدرك ابن باديس أن المجتمع لا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام وشطره يقبع في ظلمات الجهل، كما أدرك أن التعليم الأجنبي سيؤدي إلى تكوين جيل لا ينتمي إلى الجزائر وفكرها وعقيدتها حيث قال: " إن البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال، وتديّن الأم هو أساس حفظ الدين والخلق والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت وقلة تدينهن"(أبو بكر الصديق حميدي ،2015، ص 70).

ويرى ابن باديس كذلك أن: صلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموعة، والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس إما مباشرة وإما بواسطة، فما شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلا وهو راجع عليها بصلاح وما من شيء ونهى الله عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو راجع عليها بالفساد فتكميلا لنفسه وأعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل وشرع الشرائع (عمار طالبي، 1968، ص96).

1.I– المرأة :

إن تطور المجتمع وإصلاحه يرتبط بتطور المرأة (مالك بن نبي، 2002،ص98) ، ولهذا اهتم ابن باديس بها اهتماما كبيرا، إذ فتح لها مجال التعليم وقام بحملة توعية شاملة في كافة القطر الجزائري لترغيب الآباء بواجب تعليم البنات وجعل تعليمهن مجانا بخلاف البنين بهدف تشجيعهم وترغيبهم لتعليم بناتهم، وفي هذا الصدد يقول الإمام:" الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد لنا أولاد منا ولنا يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية "(سعيد بورنان، 2004، ص ص 17-18.).

وعلى هذا الأساس نقول إن إبن باديس كان يدرك الدور الفعال الذي تقوم به المرأة في المجتمع ، لذلك اعتبر تعليمها واجبا إجتماعيا يتحمله الأولياء والعلماء على حد سواء، وأي تفريط منهم في القيام بهذا الواجب يترتب عليه إثم كبير، فجمعية العلماء إهتمت بالإصلاح الاجتماعي (نور الدين أبو لحية، 2016، ص134.) ، لذا كان من أولوياتها إصلاح المجتمع قبل كل شيء .

إن أول ما بدأت به الجمعية هو تعليم المرأة التي حرمت من هذا الحظ منذ زمن طويل، فما كان إلا إنتاج بنات متعلمات متألمات لحالة مجتمعهن معاهدات الله والوطن على القيام بالرسالة وتبليغها على أكمل وجه (زليخة عثمان ابراهيم ،1949، ص6).

لقد تحمس إبن باديس إلى تعليم المرأة من وجهة نظر الشرع الإسلامي لها وتوظيفها في المجتمع ودورها في الحياة، لأن المرأة في عصر ابن باديس لا تخلو من أمرين :

1_ إما محرومة نهائيا من التعليم بحيث لا تعرف القراءة والكتابة .

2_ أو متعلمة تعليما سطحيا أجنبيا يعمل على استخفافها بعروبتها وإسلامها وتقاليدها الاجتماعية، فتصبح بالتالي متنكرة لأصلها وعروبتها وإسلامها وهذا ما يرفضه ابن باديس.

ونجد ابن باديس قد أبدى اهتمامه بموضوع تعليم المرأة، لأنها شقيقة الرجل وتشكل نصف المجتمع، وهي أحد أركان بناء الأسرة، فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن، وتفكيك لبنية الأسرة (عائشة قرة، 2018، ص287).

والدليل على إهتمامه بقضية المرأة وتعليمها، فإنه عندما أنشأ جمعية التربية والتعليم الإسلامية فكان جناحا لتعليم البنات مجانا سواء القادرات أو العاجزات عن الدفع(محمد بهي الدين سالم، 1999، ص108) ، وذلك تشجيعا لهن للإقبال على الدراسة، وزيادة على هذا فإنه كان يتصل شخصيا بالمواطنين ويحثهم على إرسال بناتهم إلى جمعية التربية والتعليم، وكان يفعل ذلك أثناء جولاته في أنحاء القطر الجزائري، ويطلب من زملائه العلماء الدعوة إلى تعليم المرأة(مازن صلاح مطبقاني، 2015، ص 108).

ولم يكن كافيا أن تتعلم الفتيات الصغيرات، فقد خصص دروس للنساء في المسجد الأخضر وغيره من المساجد في قسنطينة، وكن يحضرن بأعداد كبيرة حتى ضاقت عليهن جنبات المسجد المخصصة للنساء، وهذا يدل على أن الشيخ كان له دور بارز في قضية تعليم المرأة والاهتمام بها، ونستشف ذلك من خلال الأعداد الهائلة التي توالت على الجمعية ومراكز التعليم، لأن من أولوياته إصلاح المجتمع.

نجد بأن المستعمر كان يهدف إلى تغيير معالم ومقومات الشخصية الجزائرية، وذلك باستخدام وسيلة التنصير التي وفر لها كل الظروف للنجاح والانتشار، ومن بينها فتح المستعمر مدارس للبنات المسلمات، وجعل همه الأكبر إفساد عقائدهن وتحقير الإسلام والعربية إليهن وتجريدهن من شخصيتهن الاسلامية. بالإضافة إلى الإهتمام الذي أولوه للمرأة

الجزائرية بإعتبارها "مدار الحياة الاجتماعية "، والوصول بالتبشير إليها وصول إلى الأسرة كلها (عنجاك يمينة، د س ن ، ص45).

ولم يغفل إبن باديس عن المرأة كعنصر فعال في صناعة الحياة، فقد أشاد بدورها في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية، من خلال تنشئة النشأ المعتز بدينه والمتشبث بأرضه، والمحافظ على قيمه ومبادئه (عمار بن مزوز،د س ن، ص 124). فكان يصر على أن يكون تعليما بلغة قومها ودينها، بل يتطلع إلى أن ترتقي في مصاف درجات العلم وأن تستفيد من حضها من البعثات العلمية (أبو بكر الصديق حميدي ،2015، ص 71) ، وبهذا قدم إبن باديس خطوة رائدة في تعليم المرأة.

وبعد إنهاء بعض التلميذات دراستهن في مدرسة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة فكر في إرسالهن الى مدرسة جمعية الدوحة السورية، وبعث رسالة بهذا الخصوص إلى رئيسة هذه الجمعية جاء فيها :"يسرك سيدتي أن تعرفي أن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية تستمد حياتها من العروبة والإسلام، غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة الرابطة رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية، فهي ترغب في حضرتكم أن تعرفوها بالسبيل إلى ذلك " (مازن صلاح مطباقتي، 1999، ص64).

وفي رسالة من إبن باديس للفضيل الورتلاني حول إرسال البعثات التعليمية جاء فيها :" وإما البعثة الشامية فإنني أختار أن تكون من جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، إذ يمكن أن ترسل من تلاميذها وتلميذاتها ستة أو ثمانية ولا مانع أن يكون الطلب الموجه للوزارة من جمعية العلماء المسلمين والبعثة من جمعية التربية والتعليم إذ هما كشيء واحد ..."(أبو بكر الصديق حميدي ،2015، ص 72).

وكذلك قام ابن باديس بتقسيم تعليمه إلى قسمين:

1_ تعليم ديني ولغوي مسجدي يشبه إلى حد كبير التعليم بالمعاهد الأزهرية والزيتونة والقرويين.

2_ تعليم مدرسي حديث وهو أيضا ذو صبغة دينية ولغوية، وهذا النوع من التعليم كان يتعلمه الأطفال الصغار في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، وفروعها في بعض مدن القطر الاخرى، ثم في مدارس الجمعية بعد تكوينها عام 1931م، وهو يشبه إلى

حد كبير التعليم الحديث في المدارس العربية بالمشرق العربي في الثلاثينيات والأربعينات من القرن العشرين (بن حميدة فتيحة، 2018، ص25).

فهذه الدلالة الواضحة على أن المرأة في عصر ابن باديس قد بلغت دورا كبيرا في عملية التعليم التي حظيت بها، فكان الاهتمام بها قد تجلى من خلال البعثات التي كانت تلتحق بها، علاوة إلى هذا فإن عمر بن قدور[1] هو الآخر قد أّولى حيزا من الاهتمام في تفكيره ونشاطه الاصلاحي، وبعده التنويري ونصح بتربية النشء والاهتمام بالبنات دون إحداث فرق، لأن النهوض بالمجتمع يتطلب منهما مع بعض لذا وجه خطابه لكل الفاعلين في القضية من مفكرين وعلماء ،حيث قال :" البنات والبنون كلهم عرضة لهذا الويل الشديد المقبل عليهم والمقبلون عليه، يخشى عليهم لأنهم أبناء جاهلات وجاهلون "(كمال خليل، 2017،ص235). ولهذا طالب بإرسال أبنائهم وبناتهم إلى حلقات العلم.

ومنه فالمرأة تشغل مكانة هامة في المجتمع، وتسيطر على تكوين مستقبله وتوجيهه إما إلى النور أو الظلام، وإما إلى السمو أو الانحطاط، وباختصار إما للحياة وإما للموت، لذا كان من واجبات الجمعية وأولوياتها بذل الجهود لتعليم البنت المسلمة الجزائرية التعليم الصحيح، وتربيتها تربية عربية إسلامية، تجعل منها امرأة كاملة قادرة على القيام بواجبها الاجتماعي والنهوض به، وتأدية رسالتها إلى الأمة في الناحية التي خلقت لأجلها (علي مرحوم، 1949م،ص03).

ولذلك أوجب الإبراهيمي وابن باديس تعليم المرأة تعليما لا يخرج عن دائرة الدين والأخلاق، يليق بطبيعتها ووظيفتها الأسرية من معاشرة الزوج وتربية الأبناء التي خلقت لأدائها، وهي أشرف الوظائف الإنسانية، هذه الوظيفة لا تؤدى على وجهها الصحيح إلا بالعلم، فإذا جهلت المرأة أتعبت الزوج وأفسدت الأولاد وأهلكت الأمة . ورد ابن باديس على النخب المثقفة بالفرنسية التي أرادت صرفها عن دينها وسلخها عن عروبتها وإسلامها وحياتها وهدم أخلاقها (شهرة شفري، 2009، ص138) ، فعارض أن يكون السفور علامة للتحرر فقال في ذلك : "إذا أردتم إصلاح المرأة الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها (سعيد بورنان، 2004، ص ص 17-18)".

واهتم إبن باديس بالمرأة وخصها بدروس دينية بالجامع الأخضر بقسنطينة، وحث زملاءه العلماء على أن يقوموا بمثل ذلك في مدنهم وقراهم فساروا على نهجه، لأنه يرى أن

تعليم المرأة تعليما وطنيا أصيلا هو الطريق الموصل إلى تحريرها وإصلاح شأنها (سعيد بورنان، 2004، ص ص 17-18) ، فقد كانت مدارس الجمعية بها ثلاثة عشر ألف بنت يشاركن الأولاد في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية، ثم ينفردن ببرنامج محكم (الزبير بن رجال، 2009، ص80) ، فهذا أن دل على شيء إنما يدل على مكانة المرأة في المجتمع والأهمية البالغة التي حظيت بها من تعليم وتربية دينية، لأن إصلاح المجتمع يتوقف على إصلاح المرأة.

ومن أساليب جمعية العلماء في تعليم البنت الجزائرية نذكر منها:

تذليل الصعوبات أمام الفتاة للإلتحاق بالمدارس، ومن ذلك جعل تعليم الإناث دون مقابل حتى لا يتعذر الآباء عن تعليم بناتهم بحجة عدم القدرة على القيام بتكاليفهن المادية، فجعلت الجمعية تعليم الإناث دون مقابل، وعندما تبرع أحد المحسنين بدار كبيرة لجمعية العلماء في مدينة المدية في حضرة الإمام البشير الإبراهيمي، قام هذا الأخير بجعلها مدرسة خاصة بالإناث (سمير ايبش، 2017، ص133).

وكانت جريدة البصائر تحفز المرأة على الكتابة في الصحافة، وذلك من خلال نشرها لمقالات لإحدى النماذج من إنشاء تلميذات بمدارس الجمعية، وغالبا ما كانت تكتب على تعليم المرأة لتحفيز إقرانها من النساء على طلب العلم ونبذ الجهل مثل **الكاتبة زليخة عثمان ابراهيم، والكاتبة ليلى ابن ذياب** في مقالهن بعنوان "تعليم المرأة" (سمية بوسعيد، 2015،ص249)

2.I- الشباب :

يمثل الشباب في كل أمة مستقبلها الواعد وطاقتها المتقدمة المفعمة بالنشاط والحيوية، فعليهم عول المصلحون قديما وحديثا وبهم اشتعلت الثورات وإنفجرت الإنتفاضات وتغير وجه المجتمع من حال إلى حال، لذلك أولاهم ابن باديس وبالغ إهتمامه وإنشغاله (عمار بن مزوز،د س ن، ص 125).

كان الشباب في مقدمة المسائل التي إهتمت بها جمعية العلماء، لأنها أدركت منذ اللحظات الأولى بأن تطور الحركة الإصلاحية يتوقف على الشباب بشكل خاص (احمد الخطيب، 1985، ص 106) في بعث الثقافة العربية وشخصية الجزائر العربية الإسلامية، لذا دعا الشيخ منذ سنة 1933م، جماعة الشباب الأعضاء في جمعية التربية والتعليم لتأسيس شعبة منهم باسم التربية الإسلامية، كما نجد أنه باشر على إثر عودته بشهادة التطويع من

جامع الزيتونة بتونس 1913م، مهمة التعليم بالمسجد بمدينة قسنطينة، حيث كان يعلم الصغار والكبار إبتداءا من صلاة الفجر، وإنتهاءا بعد صلاة العشاء فوجا بعد فوج، وقد إستطاع في مدة وجيزة أن يعلم ويربي عشرات من الشباب ويوجههم لخدمة العمل الإصلاحي (مسعود فلوسي، د س ن، ص7) ، كما خص لهم يوم عطلتهم لإعدادهم ثقافيا باللغة العربية وقسمهم إلى مجموعتين، الأولى تتلقى تعليما على الساعة العاشرة صباحا، والثانية على الساعة الثامنة (محمد بهي الدين سالم، 1999،ص 106).

وكان إبن باديس قبل إعداد الشباب علميا يقسم طلابه إلى مجموعات جغرافية بحسب البلاد التي قدموا منها. بهدف إحداث التعارف بينهم وسهولة الإجتماعات بينهم، حيث يترأس كل مجموعة منهم عريف كمسؤولا عليهم وإبلاغهم بكل موعد إجتماع، وكان الطلبة القدماء يقومون بتدريب رفاقهم الجدد على كيفية مقاومة الطرق الصوفية وخرافاتها بالعودة إلى الكتاب والسنة (احمد الخطيب، 1985، ص 227). ولأن إبن باديس كان على علم ودراية بأهمية الشباب في الحركة الإصلاحية، حيث حفز على تعليمه هو الآخر مثل ما فعل مع المرأة ، لأن الأمة لا تنهض إلا بشبابها، فحرص بجد على هذه الفئة وتعليمها تعليما دينيا.

هذا وقد وجهت جمعية العلماء المسلمين القسم الكبير من نشاطاتها إلى الشباب بشكل خاص، بالإضافة إلى المدارس والمساجد التي سبق وأن تحدثنا أنها عملت الجمعية على إنشاء نوادي ثقافية وفرق كشفية، بهدف تربية الشباب تربية إجتماعية دينية ووطنية.

فنجد البشير الإبراهيمي كان دوما يلح ويدعو إلى القيام بنهضة تعليمية صحيحة، تكون الشباب التكوين المتين وتدربه على أساليب الدعوة الاسلامية والخطابة العربية والكتابة القوية المتينة، ليستطيع مواجهة الطرقيين مواجهة صحيحة معتمدة على الأدلة والبراهين. وكل هذا الفضل يعود إلى هؤلاء المصلحين، وفي مقدمتهم إبن باديس الذي وهب حياته لأجل تربية النشء وإعداد الشباب، وفى هذا الصدد يذكر الإبراهيمي فيقول :"فما كادت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ إبن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيح، وعقول نيرة ونفوس طامحة وعزائم صادقة والسن صقلية وأقلام كاتبة، وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس هي طلائع العهد الجديد الزاهر ...."(ابو بكرالقادري، 1992، ص263). وإلى جانب ذلك إرسال البعثات الطلابية إلى الخارج لمواصلة التكوين والتعليم .

وهكذا أوفدت الجمعية بعثات طلابية بإتجاه مصر، حيث ضمت البعثة حوالي50 طالبا، وإلى العراق 11طالبا، وإلى سوريا، وإلى الكويت 14 طالبا، وظل عدد طلاب الجمعية يزداد من سنة إلى أخرى نتيجة الظروف المناسبة (جمال قندل، 2014، ص352) ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الإهتمام البالغ الذي حظي به الشباب من تعليم ووعظ وإرشاد. فنقول إن ثمرة إبن باديس أتت أكلها، فحقا كان رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وفي هذا السياق قال محمد الصديق بن عتيق الذي تخرج من جامع الزيتونة في منتصف الثلاثينيات، عدت إلى الجزائر أحمل شهادة وفرح أهلي ولكن فرحة أستاذنا العظيم كانت أكبر، فقد استقبلني مع بعض الإخوان وأقام لنا حفل وأهاب بنا إلى القيام بدعوة إصلاحية، ولم يكتف بذلك فقد نشر أسمائنا في مجلة الشهاب تحت عنوان "نجوم الجزائر" تشجيعا لنا وتعريفا للأمة بنا (مولود عويمر، 2016، ص15).

إن جمعية العلماء كان لها دور بارز وفعال في الحفاظ على كيان الأمة والدفاع عن مقوماتها، ويرجع الفضل إلى هذا الصنيع لرجال الإصلاح، وفي مقدمتهم شيخنا إبن باديس رحمه الله الذي وقف سدا منيعا في وجه الطرقية والإستعمار وحاربهم بطرق إصلاحية، نهض من خلالها المجتمع وتقدمت بها الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان هدف جمعية العلماء المسلمين من وراء تشجيعها إقامة النوادي الثقافية والإجتماعية، هو إيجاد أمكنة عامة تجمع الشبان الجزائريين على إختلاف نزعاتهم الفكرية والسياسة والثقافية. وذلك من خلال البرامج الثقافية والوعظ والإرشاد التي تقدم في النادي، وضع هؤلاء الشبان في جو مشبع بمبادئ الإسلام والعروبة(أحمد الخطيب ، 1985، ص 27.).

فجمعية العلماء المسلمين قد تكلفت بهؤلاء الشبان الذين لم تستوعبهم المدارس الفرنسية، ووفرت لهم التعليم باللغة الوطنية، وأتاحت لهم الفرصة لكي يقرأوا التاريخ ويتحصنوا بمعرفة لغتهم العربية وتراثهم الاسلامي، فهي منذ البداية قامت على إستثمار طاقات الإسلامين في تكوين الشباب وتربيتهم بالعلم والمعرفة حتى يتمكنوا من فرض وجودهم (عمار بوحوش،1997،ص252) ، فعناية إبن باديس ورجال الإصلاح عامة بهذه الفئة من الشباب، هذا لأنهم كانوا يرون فيهم أمل الجزائر ومستقبلها الزاهر، لأن تسليح الشباب بالثقافة الصحيحة والأخلاق القومية والوطنية الصادقة والتشبع بالمبادئ الإسلامية سيقودهم فيما بعد إلى النهوض والإصلاح، ولقد خص إبن باديس الشباب عناية خاصة وتتجلى ذلك من خلال الدروس التي كان يلقيها يومي السبت والأحد ، وتنظيمه ضمن

هياكل شبابية كالجمعيات سواء كانت موسيقية او كشفية او إصلاحية، نذكر جمعية الشباب الفني للموسيقى العربية التي كان رئيسها الشرفي وجمعية الإصلاح التي تتولى رعاية الطلبة الوافدين إلى قسنطينة وتأسيس فوجي "الرجاء" و"الصباح" الكشفيين اللذين خصهما بنشيد:

يا نشئ أنت رجاؤنا" وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخذ الخطوبة ولا تهب

(شهرة شفري، 2009،ص 14)

يبرز دور هذه الجمعيات والنوادي إعداد الشباب وتكوينه تكوينا ثقافيا وعقائديا وسياسيا واخلاقيا ، لأنه المحرك الاساسي ومستقبلها الزاهر.

فكان البشير الإبراهيمي يقدر قيمة الشباب حق قدره ويدرك أنه الطاقة الخلاقة التي سيكون عليها الاعتماد للنهوض بالمجتمع الجزائري والخروج به من حالة الركود والتبعية الى حالة اليقظة والوعي الذي يسبق التغيير(العربي الزبيري، 1995،ص ص 83-84) ، وهذا لما للشباب من مكانة في المجتمع، لذا حظي باهتمام جل العلماء وكان على رأسهم ابن باديس والإبراهيمي لأنهما يدركان حق الإدراك ما للشباب من دور في المجتمع وفي الحركة الاصلاحية، لذا ما كان منهم إلا أن أولوه اهتمامهم وتربيتهم تربية دينية صحيحة كي يكونوا قاعدة أساسية للأجيال القادمة.

فإبن باديس كان يدرك تمام الإدراك بأنه لا قيمة للتعليم والإصلاح إذا لم يوجهه إلى الشباب، لأنهم رجال المستقبل وقادته ومجتمعه، ولهذا توجه منذ البداية إلى تعليم النشء ودعوته إلى إصلاح الشباب وتربيهم، ففتح المدارس وأقام الدروس والمحاضرات، وأشركهم في الجمعيات التربوية والكشفية، وعمل على التقرب منهم والإحتكاك بهم بسلوك المعلم البارع والمربي القدير، العالم بخبايا التربية ونظم الأناشيد الحاسمة التي تحرك العواطف والوجدان، وأنشأ لهم الجرائد وجعلها الناطقة بإسم لسان الشباب الناهض الواعي بوطنه ودينه ولغته (عبد العزيز فيلالي،2017،ض58) ، كما قال الإبراهيمي : "لا تعتمدوا على حلق الدروس وحدها , وأعتمدوا على حلق المذاكرة، إن المذاكرة لقاح العلم, فأشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس"(احمد الطالب الابراهيمي،1997، ص203).

كما قامت جمعية العلماء المسلمين على تربية الشباب على الدين الصحيح المبني على الوسطية والإعتدال والسماحة، وأن الدارس لمبادئ الجمعية يلاحظ أن مبدأ الوسطية مقرر عندهم في الأصول التي وضعوها للجمعية (الأزهر بوقطيط، 2017، ص 238).

I.3- الاطفال :

ولم تكتف جمعية العلماء المسلمين بإصلاح الشباب والنساء فقط؛ بل شملت حتى الأطفال، والتي تنوعت بالطرق إلى المشاعر والأحاسيس الروحية في نفوس الأطفال، وإن عناية الأمة وإهتمامها وتغذيتها لهذا الشعور بالأغذية الصالحة من إرشاد وتوجيه وتنمية بالكيفية التي يمكن بسببها أن نطبع عليها نفسية الطفل حتى تصبح إيمانا راسخا وعقيدة ثابتة تنمو معها نمو الجسم وتكبر فيها بكبر الفعل، وكان رجال الإصلاح حريصين على تعليم الأطفال، ولطالما كانت تترجى من الحكومة الديمقراطية لتنفيذ مشروع تعميم التعليم الإلزامي والأولى في المدن والأرياف، لتحمي الطفولة بوجه عام من الجهل الفتاك والآفات الإجتماعية، ولكن تنفيذ هذا المشروع لم يرى أثر في القرى ولا في المدن.

فكان قضية تعليم الأطفال الشغل الشاغل لدى رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فنشرت مقالات عديدة تدعو للنظر في حقوق الطفل المهضومة منها مقال بعنوان "مواهب الطفولة"، "الطفولة البائسة"، "ملكة التفكير في الطفل وكيف تربيتها" (سمية بوسعيد، 2015، ص 251).

ومنه نلخص إلى أن جمعية العلماء المسلمين كان لها دور فعال في القضية الوطنية من خلال الدفاع عن المقومات الشخصية، حيث أيقظت الشعب ودعته إلى المطالبة بالحقوق والقيام باللغة العربية لغة الدين والوطن، ودعت إلى العمل بالقرآن والسنة، وعملت على إحياء الشخصية الوطنية من خلال الإصلاح التربوي التعليمي وكذا الإجتماعي، فكان لجمعية العلماء المسلمين الفضل الكبير في غرس بذور الوطنية وإحياء الإسلام والعروبة في نفوس الجزائريين، وهو أساس الحركة الإصلاحية للنهوض بالمجتمع الجزائري وإنتشاله من ربقة الإستعمار.

II- الخلاصة و النتائج

من خلال دراستي لهذا الموضوع توصلت للنتائج التالية:

- أن جمعية العلماء المسلمين من أكثر الحركات التي سعت لإصلاح الحياة الإجتماعية لدى المجتمع الجزائري.
- اعتبرت الجمعية إصلاح المرأة وتطورها هو إصلاح أمة بأكملها.
- اهتمت جمعية العلماء بالأحوال الإجتماعية إهتماما كبيرا على تغيير حالة الشباب.
- تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثالا رائعا في التضحية خدمة لإصلاح المرأة والشباب والاطفال.

الشروحات والتعليقات:

[1]عمر بن قدور :ولد بالعاصمة في سنة 1886م،ودخل المدرسة الشرعية الفرنسية وعمره تسع سنوات ،كما درس في جامع الزيتونة بتونس ،وتوجه الى مصر وكتب في صحفها ،وعاد الى الجزائر سنة 1908م،وكان يدعوا الى الوحدة الاسلامية والنهوض والاصلاح ،وفي سنة 1914م دعا الى تأسيس جماعة التعارف الاسلامي وبرز في الميدان الصحفي ،فأسس سنة 1913م جريدة الفاروق ،انظر ابو القاسم سعد الله :**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج5،ص 276.

– المراجع :

1. زوليخة بوقرة (2008-2009):**سيسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر– جمعية العلماء المسلمين أنموذجا** ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، علم الاجتماع الديني ،بلقاسم بوقرة ،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية ،جامعة الحاج لخضر ،باتنة ،.
2. عمار بن مزوز (د س ن)، **عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والاصلاح**، دار الامل للطباعة والنشر، الجزائر.
3. أبو بكر الصديق حميدي (2015)، **دراسات واعلام في الحركة الجزائرية** ،دار المتعلم ،الجزائر.
4. عمار طالبي(1968)، **اثار ابن باديس**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ج 4.
5. مالك بن نبي :**مشكلات الحضارة في مهب المعركة** ،دار الفكر ،سوريا ،2002،ص98.
6. سعيد بورنان (2004)، **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر(1830_1962)**،(د ط)، دار الامة، الجزائر.
7. نور الدين أبو لحية (2016)، **الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء والطرق الصوفية وأثرها في التعامل بينهما**، ط2، دار الانوار للنشر والتوزيع،الجزائر.
8. زليخة عثمان ابراهيم (31اكتوبر1949)، **التعليم وحظ المرأة منه**، جريدة البصائر، العدد93، ص6.
9. عائشة قرة (جوان 2018)، **دور صحافة المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري**، مجلة افاق البحوث والدراسات ،العدد2،جامعة محمد لمين دباغين ،سطيف.
10. محمد بهي الدين سالم (1999)، **ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير** ،ط1،دار الشروق، بيروت، لبنان.
11. [1]مازن صلاح مطبقاني(2015)، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)**،دار بني مزغنة ،الجزائر

12. عنجاك يمينة، (د س ن)**المراة والاصلاح الديني في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ،جامعة الجزائر 2.
13. مازن صلاح مطباقتي(1999)، **عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي** ،دار العلم ،ط2 ،دمشق ،سوريا.
14. بن حميدة فتيحة (ديسمبر 2018)، **تعليم المرأة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية _عند الشيخ ابن باديس نموذجا**_ ،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ،المجلد09 ،العدد03.
15. كمال خليل جوان (2017)، **الفكر الاصلاحي عند عمر بن قدور (1886_1932م)**،مجلة البحوث التاريخية ،العدد 02،جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ،الجزائر.
16. علي مرحوم (23ماي 1949): "**بناتنا في المكاتب الفرنسية**"، البصائر ،العدد80،
17. شهرة شفري(2008_2009)، **الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،اصول الاديان** ،محمد زرمان ،كلية العلوم الاجتماعية والاسلامية ،جامعة الحاج لخضر، باتنة.
18. الزبير بن رجال(2009)، **الامام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889_1940م**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
19. سمير ابيش (2017):**جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليم المراة (1931_1956)**، العدد 06،الساور للدراسات الانسانية والاجتماعية.
20. سمية بوسعيد(2014-2015): **القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين–البصائر نموذجا–**,رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، مجاود محمد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم ع الانسانية، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بالعباس.
21. احمد الخطيب (1985):**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الاصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ا لجزائر.
22. مسعود فلوسي(د س ن):**دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر**.
23. محمد بهي الدين سالم (1999): **ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير**،ط1،دار الشروق، بيروت، لبنان.
24. ابو بكر القادري (1992):**مذكرات في الحركة الوطنية المغربية من سنة 1930الى 1940م**، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
25. جمال قندل، **الدور النافذ للشيخ محمد البشير الابراهيمي في جمعية العلماء المسلمين (1931_1956م)**،مجلة عصور، العدد 22 ،2014 ،ص352.
26. مولود عويمر (2016):**عبد الحميد ابن باديس مسار وافكار** ، ط2،جسور للنشر والتوزيع ،الجزائر.
27. عمار بوحوش (1997):**التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان.
28. العربي الزبيري(1995): **المثقفون الجزائريون والثورة** ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر.
29. عبد العزيز فيلالي(2017)، **التفسير عند الامام عبد الحميد ابن باديس واحتفال الامة بختمه**، دار الهدى، عين مليلة ،الجزائر.

30. احمد الطالب الابراهيمي (1997): اثار الامام محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر ج3, دار الغرب الإسلامي.

31. الأزهر بوقطيط (جانفي)2017، **دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة الشباب على الوسطية والاعتدال**، المنهل، ع04.